وَمثله لما سُئل بعضهم وكان بين أقوام يحب عليا دون غيره وبعضهم
يحب ابابكر وبعضهم عمر وبعضهم عثمان فقيل له ايهم احب
الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من كانت ابنته تحته وقيل
لما تفرسوا انها قرابته قالت انما قلت هذا رغبة في سرور الملك
واتصالنا به وقيل لها لما قالت ذلك قالوا لها من قالت امي قالوا
ولامك ابن قالت نعم هرون وكان ولد في سنة لا يقتل فيها قالوا
صدقت فائتينا به فانطلقت الى امها فاخبرتها بحال ابنها وجاءت
بها اليهم فلما وجد الصبي ريح امه قبل ثديها وجعل يمصه حتى
امتلا جنباه ريا فقالوا لها اقيمي عندنا فقالت لا اقدر على فراق
بيتي ان رضيتم ان اكفله في بيتي والا فلا حاجة لي واظهرت
الزهد فيه نفيا للتهمة فرضوا بذلك فرجعت به الى بيتها فذلك قوله
تعالى فرددناه الى امه ثم علله بقوله تعالى كي تقر عينها اي تبرد
وتستقر واصل قرة العين من القر وهو البرد اي بردت ونامت بخلاف
سخنت عينه يقال اقر الله تعالى عينك من الفرح واسخنها من
الحزن فلهذا قالوا دمعة الفرح باردة واسخنها من الحزن ودمعة
الحزن حارة هذا قول الاصمعي قال ابو تمام
فاما عيون العاشقين فاسخنت ٭ واما عيون الشامتين فقرت
وقال ابو العباس ليس كما قال الاصمعي بل كل دمع حار فمعنى
اقر الله عينك صادفت سرورا فنامت وذهب سهرها وصادفت
ما يرضيك اي بلغك الله اقصى املك حتى تقر عينك من النظر
الى غيره استغناء ورضا بما في يديك ولا اي وكي لا تحزن اي بفراقه
ولتعلم اي علما هو عين اليقين كما كانت عالمة به علم اليقين وعلم شهادة
كما كانت عالمة به علم غيب ان وعد الله اي الامر الذي وعدها به الذي
له الكمال كله في حفظه وارساله حق اي هو في غاية الثبات في مطابقة
الواقع ولكن اكثرهم اي اكثر آل فرعون وغيرهم لا يعلمون ان وعد الله حق
فيرتابون فيه او لا يعلمون ان الله وعدها رده اليها قال الضحاك لما قبل
ثديها قال لها هامان انك لامه قالت لا قال لها فما باله قبل ثديك من بين
النسوة قالت ايها الملك اني امرأة طيبة الريح حلوة اللبن فما شم ريحي
صبي الا اقبل على ثديي قالوا صدقت فلم يبق احد من آل فرعون الا اهدى
اليها واتحفها بالذهب والجوهر واجرى عليها اجرها قال السدي
وكانوا يدفعون اليها كل يوم دينارا فان قيل كيف حل لها ان تاخذ الاجر
على رضاع ولدها منه اجيب بانها ما كانت تاخذه على انه اجر
على الرضاع ولكنه مال حربي كانت تاخذه على الاستباحة فمكث عندها

الى ان فطمته واستمر عند فرعون ياكل من ماكوله ويشرب من مائه ويلبس من
ملبوسه الى ان كمل كما قال تعالى حكاية عنه في سورة الشعراء الم نربك فينا
وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين ولما بلغ اشده وهو ثلاثون سنة
او وثلاث كما قال مجاهد وغيره واستوى اي بلغ اربعين سنة كما رواه سعيد
ابن جبير عن ابن عباس وقيل اعتدل في السن وتم استحكامه بانتهاء شبابه
وهو من العمر ما بين احدى وعشرين سنة الى اثنين واربعين سنة
آتيناه اي ابتداء من غير اكتساب اصلا جريا على العادة اسوة اخوانه من
الانبياء حكما اي عملا محكما بالعلم وعلما اي فقها في الدين تهيئة للنبوة وارهاصا
لرسالته وقيل العلم علم التوراة والحكم السنة قال الزمخشري
وحكمة الانبياء سنتهم قال الله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات
الله والحكمة وقيل معناه آتيناه سيرة الحكماء والعلماء وسمتهم قبل البعث
فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه قال البقاعي واختار الله هذا السن
للارسال ليكون من جملة الخوارق لانه به يكون ابتداء الانتكاس الذي قال
الله تعالى فيه ومن نعمره اي الى كمال سن الشباب ننكسه في الخلق اي نوقفه
فلا يزاد بعد ذلك في قواه الظاهرة ولا الباطنة شيء ولا يوجد فيه غريزة
لم تكن موجودة اصلا عشر سنين ثم ياخذ في النقصان هذه عادة الله في جميع
بني آدم الا الانبياء فانهم في حد الوقوف يؤتون من بحار العلوم ما يقصر عنه
الوصف بغير اكتساب بل غريزة يغرزها الله تعالى فيهم حينئذ ويؤتون
من قوة الابدان ايضا بمقدار ذلك ففي انتكاس غيرهم يكون نموهم وكذا من
الحقه الله تعالى بهم من صالحي اتباعهم كما قال تعالى وكذلك اي مثل هذا الجزاء
العظيم نجزي المحسنين اي كلهم على احسانهم ولما اخبر تعالى بتهيئته
للنبوة اخبر بما هو سبب لهجرته وكانت بعد ابراهيم عليه السلام
بقوله تعالى ودخل اي موسى المدينة قال السدي هي مدينة منف من
ارض مصر وقال مقاتل كانت قرية تدعى حابين على راس فرسخين من مصر
وقيل مدينة عين شمس وقيل غير ذلك على حين غفلة من اهلها وهو وقت
القايلة واشتغال الناس بالقيلولة وقال محمد بن كعب القرظي دخلها
فيما بين المغرب والعشا وقيل يوم عيد لهم وهم مشتغلون فيه بلهوهم
وقيل لما شب وعقل اخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فاخافوه فلا يدخل قرية
الا على تغفل واختلف في السبب الذي من اجله دخل المدينة في هذا الوقت
قال السدي وذلك ان موسى كان يسمى ابن فرعون فكان يركب مراكب
فرعون ويلبس من ملابسه فركب فرعون يوما وليس عنده موسى فلما جاء
موسى قيل له ان فرعون قد ركب فركب في اثره فادركه المقيل بارض منف
فدخلها نصف النهار وليس في طرقها احد وقال ابن اسحاق كان